افتتاح المؤتمر التربوي الأول

مراد جرداق(*)

حضرة الدكتورة ليلى فياض ممثلة معالي وزير التربية

الزميلات والزملاء،

يطيب لي أن أرحب بكم باسمي واسم الهيئة اللبنانية للعلوم التربوية وكذلك باسم اللجنة المنظمة لهذا المؤتمر. وأخص بالتحية الزميلات والزملاء من الدول العربية الشقيقة متمنياً لكم جميعاً المشاركة الطيبة والفائدة الكبيرة من هذا المؤتمر.

يتميّز مؤتمر «الكتاب المدرسي: دوره، مضمونه، جودته» الذي نحن بصدد افتتاحه اليوم ببعض الصفات، والتي أود أن أشارككم فيها شكلاً ومضموناً. **من حيث الشكل**:

أولاً: إن هذا المؤتمر هو من المؤتمرات القليلة في الحقل التربوي تنظمه مؤسسة من مؤسسات المجتمع المدني وعلى المستوى العربي ما أتاح لنا التركيز على النواحي العلمية الصرف دون أن تحدنا المسائل الرسمية إلا ما عدا تأشيرات الدخول إلى لبنان لزملائنا من فلسطين والعراق والذين لم يتمكنوا من الحصول على التأشيرات المطلوبة لسبب أو لآخر. وهذا بدوره استدعى بعض التغييرات في البرنامج.

ثانياً: إن هذا المؤتمر نُظّم على أساس مفهوم الدعوة المفتوحة لجميع الباحثين لتقديم اقتراحات أوراق ضمن المحاور التي حددتها وثيقة المؤتمر. وقد خضعت كل

(*) الجامعة الأميركية في بيروت.

اقتراحات الأوراق إلى عملية تحكيم من قبل لجان مختصة أوصت إما بقبول الاقتراح أو القبول مع التعديلات أو عدم القبول. ومن اصل ٣٢ اقتراحاً تبقّى ١٦ ورقة وهي الموجودة في برنامج المؤتمر. وكان هدفنا من ذلك دعم التقاليد العلمية في اختيار الأوراق للمؤتمرات العلمية بإخضاعها للتحكيم من قبل الزملاء والأقران.

ثالثاً: أردنا أن يكون هذا المؤتمر فرصةً لتعزيز شعور المؤسسات والأفراد بأهمية المشاركة في المؤتمرات العلمية. وكما هو معمول به في المؤتمرات العلمية في البلاد المتقدمة، وضعنا رسماً رمزياً للتسجيل هو في أساسه طريقة تعبّر من خلالها المؤسسات عن القيمة التي تعطيها للمشاركة من خلال دعم العاملين فيها للتسجيل والمشاركة في هذا المؤتمر. ونأمل تعزيز مثل هذا التقليد لكي تنخرط المؤسسات التربوية في المشاركة في المؤتمرات العلمية.

أما **من حيث المضمون** فأود أن أشارككم في مسوّغات اختيار الهيئة واللجنة المنظمة لموضوع الكتاب المدرسي.

أولاً: ان الكتاب المدرسي يستحق الدراسة والتطوير لأنه سيبقى في المستقبل المنظور الوسيلة التعليمية الأهم للتعليم للعدد الأكبر من التلاميذ سواء في العالم أو في البلاد العربية رغم الوعود والآمال التي تصورها لنا تكنولوجيا المعلومات والاتصالات التي تزعم أن الكتاب المدرسي بالشكل الذي نعرفه سيختفي ليحل محله نظام جديد من تخزين للمعلومات واسترجاعها والتفاعل معها.

ولكي نفهم بشكل أفضل موقع الكتاب المدرسي في الزمن الحالي ينبغي العودة إلى المسار التاريخي الذي أوجد وطوّر الكتاب المدرسي. يقول بعض الدارسين أن مسار التعليم مرّ تاريخياً بأربع نقلات نوعية كبيرة هي:

أولاً: انتقال مهمة التعليم من العائلة إلى المدرسة كمؤسسة اجتماعية

ثانياً: استعمال الكتابة في التعليم وانتقاله من التعليم الشفوي إلى الكتابي

ثالثاً: اختراع الطباعة ودخول الكتاب المطبوع وانتشاره كوسيلة التدريس الأساسية.

رابعاً: النقلة النوعية الموعودة وهي دخول تكنولوجيا المعلومات والاتصالات حقل التعليم.

إن النقلة النوعية الرابعة المتمثلة بدخول تكنولوجيا المعلومات والاتصالات

حقل التعليم ما زالت في بداياتها وهي مقصورة على قلة قليلة مقتدرة على اقتنائها واستعمالها إذ أن كما يقول المدير العام لليونسكو في رسالة نشرت أخيراً «فإن ثلاثة أرباع العالم حالياً لا يملكون أي وسيلة من وسائل الاتصال الحديثة سلكية أو لاسلكية». وهذا الواقع يجعل من الكتاب المدرسي المطبوع الوسيلة الرئيسية للتعليم ليس على مستوى العالم ككل بل على مستوى البلد الواحد وحتى على مستوى المناطق التربوية والمدارس ضمن البلد الواحد. وهذا الواقع سيستمر طالما استمرت الهوة الرقمية بين الذين يملكون والذين لا يملكون. وهذا ما حدانا لتخصيص هذا المؤتمر للكتاب المدرسي الذي نعتقد أنه سيستمر الوسيلة التعليمية الأهم للعدد الأكبر من التلاميذ.

ثانياً: يمثل الكتاب المدرسي مساحة مشتركة قد تكون فريدة في حقل التعليم للتفاعل بين المجموعات والأدوات والعلوم. ففي الكتاب المدرسي يلتقي المؤلفون والمعلمون والتلاميذ وإدارات المدارس والأهل. وفيه أيضاً تلتقي العلوم الاجتماعية كانت أم الإنسانية أم الصحيحة. والكتاب المدرسي متعدد الوظائف بحسب الجهة التي تستعمله. فهو أداة ثقافية حاملة للقيم الاجتماعية السائدة وهو أداة تربوية للمعلمين والمتعلمين وهو أداة تحكم من قبل الدول أو السلطات لتنفيذ السياسات المعتمدة أو الجودة أو تكافؤ الفرص. وفي الكتاب المدرسي يلتقي الفن والحرف الطباعية والصناعة والإنتاج والتجارة والتوزيع وهو فوق ذلك مسبوك باللغة بما تحمل من دلالات وقيم. ولأن الكتاب المدرسي يبدو كأنه مجتمع مصغّر للتعليم ارتأينا أن يكون موضوع المؤتمر التربوي الأول للهيئة اللبنانية للعلوم التربوية. وكما يتبين من برنامجه فإن المؤتمر سيناقش كثيراً من أوجه هذا التفاعل.

أود أن أوجه الشكر الخاص إلى من ساهموا في الإعداد لهذا المؤتمر وفي تنفيذه ودعمه.

أوجه الشكر **أولاً** إلى لجنة المؤتمر التي كان لي شرف رئاستها:

- الدكتورة كرمة الحسن
- الدكتور عدنان الأمين
- الدكتور صوما بو جودة
- الدكتورة إيمان أسطة

- الدكتورة عائشة حرب
- الدكتور نخلة وهبة
- الدكتور فوزي أيوب
- الدكتور غازي غيث

وأوجه الشكر **ثانياً** إلى المؤسسات التي دعمت هذا المؤتمر مادياً وهي:

- المكتب الإقليمي لليونسكو للدول العربية الذي وفر تمويلاً لنشاطات مختارة منها طبع وقائع المؤتمر وأوراقه في كتاب.

- مكتبة لبنان التي موّلت وأنتجت كراس المؤتمر الموضوع في الملف بين أيديكم.

- شركة التأمين العربية التي موّلت إعداد الملفات الخاصة بالمؤتمر وأشكر أيضاً معالي وزير الثقافة والسيد انطوان حرب المسؤول الإداري عن قصر الأونيسكو لاستضافتنا فيه.

وأخيراً، أود أن أوجه شكراً كبيراً للمنسقة الإدارية لهذا المؤتمر السيدة عايدة عبد الصمد وفريقها والتي يمكنكم شكرها لكل الأعمال التنظيمية لهذا المؤتمر.